

# رسالة مفتوحة

## إلى رجال الدين المسيحيين في لبنان

د. مارك الأشقر

٢٠٢٤

## رسالة مفتوحة إلى رجال الدين المسيحيين في لبنان

حضرة أبينا رجل الدين المسيحي،

تقولون إن الديانة المسيحية هي ديانة انتشارية وأنتم طبعاً على حق!

إنما للظروف أحكام. فأباؤنا الأولون وعلى رأسهم يوحنا مارون الأول لم يبشروا المحيط المسلم طيلة سبعة قرون لأن وجودهم كان مهدداً بالزوال.

من ناحية أخرى، مسيحيو الأطراف عاشوا فترة طويلة مدة ١٣ قرن تحت حكم المسلمين، ولم يختفوا ولم يُطردوا، ليس محبةً بهم إنما بعد أن باتوا أقلية غير فاعلة إثر موت أو أسلمة ٩٠% من أسلافهم إبان الفتوحات (طبعاً عاشوا وفق الشروط العُمريّة المخصّصة للذميين).

فانقسم لبنان منذ الفتوحات الإسلامية بين دولة (بدأ يعترف بها التاريخ العلمي على هذا النحو) يحكمها المسيحيون \_الموارنة تحديداً\_، أي دولة تيوقراطية أي بقيادة رجل دين هو البطريرك، ومنطقة تابعة للدولة الإسلامية الراشدية فالأموية فالعباسية فدويلات الأخيرة وصولاً إلى المماليك، فالعثمانيين، كانت مقسّمة إلى ولايات أو جزء من ولايات أكبر في المحيط.

بهذا، إنّ تقسيم لبنان الحالي ما هو سوى عودة إلى ما كان عليه طيلة ١٣ قرن.

طبعاً نحن نفضل عدم التقسيم، أي نفضل الاتحاد ضمن دولة واحدة فدرالية، لا اعتبارات معينة، شرط ألا تكون هناك أية مساومة على أي جانب من جوانب الحرية، لأنّ على حد قول يسوع، "ماذا نفع الإنسان إذا ربح العالم وخسر نفسه؟".

فالأولوية هي للوجود، وأعني الوجود الحرّ بكامل جوانبه؛ ومن بعدها يكون الانطلاق إلى التبشير.

والوجود لا يمكن أن يتم تأمينه سوى بأسلوبين لا ثالث لهما: الأول هو توحيد قسَمي لبنان اللذين كانا قائمين طيلة ١٣ قرناً، من ٦٣٤ حتى ١٩٢٠، ضمن دولة اتحادية، أي بالأجنبية فدرالية، أي لامركزية إدارية وسياسية وقضائية ومالية وتشريعية وسواها، ما يعني العودة إلى الوراثة قليلاً نسبةً للتوحيد المتقدم الكامل القاسي ضمن نظام أحادي مركزي الذي تم عام ١٩٢٠ على الطريقة الفرنسية؛ أما الثاني، فهو العودة إلى الوضع الذي كان سائداً قبلها أي قبل ١٩٢٠. أما اللامركزية الإدارية لوحدها ضمن النظام الحالي، فهي ليست ضرورية للعبور إلى فدرالية لا بل تهدر الوقت الثمين الذي نحن بحاجة إليه، واستخدامها لمحاولة تسهيل قبول الفدرالية قد يضيع البوصلة.

الحل الأول تبنته سويسرا وبلجيكا والإمارات والهند وكندا والأرجنتين وروسيا والولايات المتحدة وجزر القمر والنمسا وألمانيا و~ ١٥ دولة أخرى، ويعيش ضمنه ٤٠% من سكان العالم. الحل الثاني تبنته إندونيسيا / تيمور الشرقية \_عندما انفصلت تيمور الشرقية المسيحية عن أكبر دولة مسلمة في العالم\_، وتشيكيا / سلوفاكيا، ودول يوغوسلافيا السابقة، والسودان / جنوب السودان، وهناك ربما حالات أخرى.

وقد لاحظنا أمامنا في التاريخ الحديث أن كثرة غير المسيحيين، أي، في لبنان، كثرة المسلمين، في المدارس والجامعات المسيحية والمؤسسات المسيحية كالمستشفيات والمطاعم والأحياء المسيحية، لم تؤدّ بصراحة إلى زيادة ملحوظة في مسحتهم، ولا حتّى إلى تغيير في ذاكرتهم الجماعية ولا في عاداتهم ولا في تقاليدهم \_إلا بعض السطحية منها في الملبس أو بعض التصرفات الاجتماعية أو أسماء العلم\_ ولا في مواقفهم السياسية ولا في أفاقهم حيال وضع لبنان، لا بل لاحظنا أن العوائل المسيحية انسحبت من تلك المدارس والمؤسسات والأحياء التي فيها عموماً مسلمون، حتى إن كان هؤلاء

المسلمون من الذين نقول عنهم بين مزدوجين "معتدلين" أو "منفتحين"، فتّمت عملياً أسلمة الأرض وسكانها، والأمثلة كثيرة ومنها طرابلس وصيدا وبירות وضواحي تلك المدن، والحدث وبعليك...

ونقول ["معتدلين" أو "منفتحين"] بين مزدوجين لأن اعتدال أو انفتاح المسلم يضعه شرعياً خارج الإسلام مهما الطائفة أو المذهب أو المدرسة. لكن هذا الالتباس \_ بالرغم من النقاط التي نعتبرها نحن إيجابية وهي نقاط سلبية للإسلام \_ لم يخوله ولا يخوله ولن يخوله الانصهار بالمسيحيين ثقافياً ولا اجتماعياً، إنما يسمح له بالاختلاط بهم بأمور نسبية سطحية كالتعارف والعمل سوياً والتعلم سوياً والفرح والترح في بعض المناسبات سوياً، وهذا من باب الأخوة الإنسانية التي لا بد أن تتبلور في مكانٍ ما بفعل الجيرة الجغرافية، ونحن لسنا ضد هذا الاختلاط البناء، لا بل هو من مطالبنا.

إذن الأخوة الإنسانية لا تجعل من موضوع الاختلاط الجميل والبناء انصهاراً اجتماعياً عامّاً، وها عدد كبير من رجال السياسة المسلمين قد تعلموا منذ الاستقلال في المؤسسات المسيحية وما زلنا نرى أين استقرّوا.

بالتالي، في النظام الفدرالي، يمكن حماية المناطق المسيحية في الأطراف دستورياً. في النظام الحالي، كما في حال التقسيم، وكما في حال الفدرالية إذا رفضت الأكثرية الامتثال للدستور لناحية الحفاظ على الأقليات، فتكون حمايتهم هي رهينة تسامح المسلمين. والعكس صحيح، أي فيما خص بعض الأقليات المسلمة في المناطق ذات أكثرية مسيحية. إذن، إذا لم تُرد إحدى المجموعات الحفاظ على الأقليات التي ضمنها، فلا حول ولا قوة، ولن يحافظ عليها أي نظام. إذن لا بد من القيام بما هو الأفضل للوجود: الفدرالية إذا وافق المسلمون، أو التقسيم (وفي حال التقسيم، فالبداية بمحاولة تقسيم سلمي).

وأعود وأكرر أن الأقليات المسيحية متواجدة منذ فترة ١٣٠٠ عام. إنما، إذا كان لا مفرّ من الرغبة بتهجيرها، ونحن نرى أن هذا التهجير هو قيد الحصول اليوم بطريقة "ناعمة"، فمن الأفضل أن تهاجر من الأطراف إلى المناطق ذات أكثرية مسيحية، عوض هجرة جميع مسيحيي لبنان إلى كندا وأميركا وأستراليا والبرازيل وأوروبا، ما يتماشى وتفضيل تلك الأقليات حالياً العيش لدى الأكثرية في جبل لبنان عوض العيش في مناطقها.

البعض قالوا لي أنهم كرجال دين مسيحيين يعطون الأولوية للانفتاح / الانتشار طالما أنهم كمسيحيين يبشّرون في لبنان أو في المهجر. ولهؤلاء أقول إن الديانة المسيحية تطلب التبشير أينما حل المؤمنون \_صح\_، لكنها لا تطلب منهم عدم الدفاع عن قوميتهم وأرضهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم أو التنازل عنها بحجة أنّ الأهم هو التبشير.

بالنهاية، إذا كان للانفتاح أولوية \_عبر النظام المركزي\_، على حساب الفدرالية أو التقسيم، فهذا يعني الارتباط العضوي بمحيط جبل لبنان، أي بولاية الشام كما كانت أيام الأمويين حتى ١٩٢٠، وهي نفسها التي حاربها أبينا يوحنا مارون تأمييناً لوجوده، قبل انطلاق الانفتاح بعد ٧ قرون، منذ ١٣٨٢، أي منذ السنة التي انتزع فيها المسيحيون امتيازاتهم بعدم سعي الخلفاء إلى فرض الجزية وأحكام الذمة عليهم!

فهل عاش يوحنا مارون مسيحيتته بطريقة ناقصة أو خاطئة؟ كل شي بوقتو حلو!